



خطبة صلاة الجمعة 14 / 11 / 2025 للشيخ الطيب محمد خير الشَّعَال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(اللهم اسقِ بلادك وعبادك)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيِّدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبيِّ اجتهابه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيِّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَةً وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: 28].

وقال سبحانه: ﴿وَبَلَّوْنَاَهُمُ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 168]،

قال الإمام القرطبي: {بَلَّوْنَاَهُمْ} أي: اخترناهم، {بِالْحَسَنَاتِ} أي: بالخصب والعافية، {وَالسَّيِّئَاتِ} أي: الجذب والشَّدائد، {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} أي: ليرجعوا إلينا.

أخرج الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَالَ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ: لَوْ أَنَّ عِبَادِي أَطَاعُونِي، لَأَسْقَيْتُهُمُ الْمَطَرَ بِاللَّيْلِ، وَأَطْلَعْتُ عَلَيْهِمُ الشَّمْسَ بِالنَّهَارِ، وَلَمَّا أَسْمَعْتُهُمْ صَوْتِ الرَّعْدِ».

عنوان خطبة اليوم: اللهم اسقِ بلادك وعبادك

أيها الإخوة:

مع تأخر نزول الأمطار من السماء، ومع حاجتنا للغيث والماء، ومع علمنا بأنه لا يغيثنا إلا الله، نحن أحوج ما نكون للتوبة وللضراعة على باب ملك الملوك ندعوه ونقول اللهم اسقِ بلادك وعبادك. في نهاية الألفية الماضية ومطلع الألفية الجديدة ضرب جفاف استراليا، أدى لموت الناس ونزوحهم ونفوق عدد من الحيوانات وهلاك محاصيل زراعية كثيرة وخسائر مادية وبشرية.

اندلع نتيجة الجفاف الشديد والرياح القوية في إحدى الولايات حريق هائل دمر خمسة ملايين هكتار وأدى إلى تدمير أكثر من ألف وثلاثمائة منزل ونزح الآلاف من السكان.

وجد مزارع في حقله في إحدى الولايات هيكلاً عظيماً لكنغر مات نتيجة انعدام الماء والمرعى، وقد اضطرت آلاف الكناغر الأخرى للبحث عن الطعام في المناطق الحضرية.

ولحظ الناس زيادةً سريعةً في أعداد الخفافيش الهزيلة التي ماتت جوعاً. وباتت بعض أنواع الخفافيش مدرجة على قائمة الأنواع المهددة بالانقراض، واضطرت الحكومة إلى إعدام عشرة آلاف جمل في شمال غرب البلاد بسبب استهلاكها الكبير للمياه.

وبالإضافة إلى قصص الموت والدمار، أثر الجفاف على الاقتصاد الزراعي، فقد تضرر أكثر من سبعين بالمائة من المناطق الزراعية، وهاجر أكثر من أربعين ألف مزارع من المناطق الريفية.

وفقدت استراليا قريباً من خمسة عشر مليون طن من القمح سنوياً بسبب نقص الأمطار وتراجع إنتاج القمح بنسبة أربعين بالمائة على مستوى البلاد، وارتفعت أسعار المواد الغذائية المحلية بسبب نقص الإنتاج.

نحن أحوج ما نكون للتوبة وللضراعة على باب ملك الملوك ندعوه ونقول اللهم اسق بلادك وعبادك.

أخرج الطبري في تاريخه: أصابت الناس في إمارة عمر رضي الله عنه سنة بالمدينة وما حولها، فكانت تسفى إذا ريحت تراباً كالرماد، فسمي ذلك العام عام الرمادة، فآلى عمر ألا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً، فقدمت السوق عكة من سمن ووطب من لبن، فاشترهما غلام لعمر بأربعين، ثم أتى عمر، فقال عمر: أغليت بهما، فتصدق بهما، كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسنني ما مسهم!

وأري رجل من مزينة فيما يرى النائم أن رسول الله ﷺ أتاه، فقال: أبشر بالحيا!

أنت عمر فأقرئه مني السلام، وقل له: إن عهدي بك وأنت وفي العهد، شديد العقد، فالكيس الكيس

يا عمر!

فجاء حتى أتى باب عمر، فقال لغلامه: استأذن لرسول رسول الله ﷺ، فأتى عمر فأخبره، ففزع وقال:

رأيت به مسا! قال: لا، قال: فأدخله، فدخل فأخبره الخبر، فخرج فنادى في الناس، وصعد المنبر، وقال:

أنشدكم بالذي هداكم للإسلام، هل رأيتم مني شيئاً تكرهونه! قالوا: اللهم لا، قالوا: ولم ذاك؟ فأخبرهم،

ففظنوا ولم يفتن، فقالوا: إنما استبطأك في الاستسقاء، فاستسق بنا، فنادى في الناس، فقام فخطب

فأوجز، ثم صلى ركعتين فأوجز، ثم قال:

اللهم عجزت عنا أنصارنا، وعجز عنا حولنا وقوتنا، وعجزت عنا أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بك،
اللهم فاسقنا، وأحي العباد والبلاد!

قال: فمطروا.

نحن أحوج ما نكون للتوبة وللضراعة على باب ملك الملوك ندعوه ونقول اللهم اسق بلادك وعبادك.
أصببت منطقة المخلاف السليماني "وهي جيزان وما جاورها" بجذب وقحط شديد عام 973هـ.
وسميت تلك السنة بأَم العظام لأن الناس أكلوا العظام من شدة الجوع فخرج الناس للاستسقاء وأمهم
رجل مسن. فلما وقف أمام الناس حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ترجل قصيدة، فما انتهى منها إلا
وقد انهمر المطر، وما استطاع الحراك من مكانه إلا محمولا على أكتاف الرجال من شدة المطر:
ومما قاله في قصيدته:

فلنْ يَحْيِبَ لنا في رَبِّنا أَمْلُ	إنْ مَسَّنا الضُّرُّ، أو ضاقت بنا الحِيلُ
رَبِّنا يُجَوِّها عَنَّا فتنقلُ	وإنْ أناخت بنا البلوى فإن لنا
فما لنا بِتَوَيِّ دَفْعِهِ قَبْلُ	يا مالِكِ المَلِكِ فادفَعْ ما أَمَّ بنا
مبارِكِ مُرَجِّحِنْ مَزْنُهُ هَطْلُ	واسقِ البلادَ بغيثٍ مسبِلٍ عَدَقِ
بها تعود بها أحوالُها الأوَّلُ	تُكسى به الأرضُ ألواناً مُنمَّمةً
به وتحيا سهولُ الأرضِ والجبلُ	وتخصبُ الأرضُ في شامٍ وفي يمنٍ
إنني اليومَ منها خائفٌ وجيلُ	يارب فاغفر ذنوبي كلها كرمًا
محمدٍ خيرٍ مَنْ يَحْفى ويتعلُّ	وصلِّ رَبِّ على المختارِ من مضرٍ

نحن أحوج ما نكون للتوبة وللضراعة على باب ملك الملوك ندعوه ونقول اللهم اسق بلادك وعبادك.
جاء في تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي في ترجمة الأمير الأندلسي عبد الرحمن الناصر لدين الله أبي
المطرف: بقي في الإمرة خمسين سنة، وكان كَلِفًا بعمارة بلاده، وإقامة معالمها، استفرغ الوسع في إتقان
قصور الزهراء وزخرفتها. وكان عبد الرحمن يرجع إلى دين متين وحسن خلق، وكان فيه دُعاة.. وقد أصاب
الناس قحط في زمانه، فأرسل رسولاً للقاضي منذر بن سعيد، يحركه للخروج بالناس للاستسقاء.

فقال القاضي للرسول: يا ليت شِعري ما الَّذي يصنعه الأمير؟

فقال: ما رأيته أخشع لله منه في يومنا هذا، وإنه منفرد بنفسه، لابس أخشن ثيابه، يبكي ويعترف بذنوبه، وهو يقول: هذه ناصيتي بيدك، أترك تغذّب الرعيّة من أجلي وأنت أحكم الحاكمين، لن يفوتك شيء مني.

فتهلّل وجه القاضي لما بلغه هذا، وقال: يا غلام احمل الممطر معك، فقد أذن الله بسقيانا. إذا خشع جبار الأرض رحم جبار السماء.

فخرج وجاء الناس إلى محل الاستسقاء وصعد القاضي منذر بن سعيد المنبر والناس ينظرون إليه ويسمعون ما يقول، فلما أقبل عليهم كان أول ما خاطبهم به قال: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الانعام: 54].

ثم أعادها مراراً فأخذ الناس في البكاء والنحيب والتوبة والإنابة، فلم يزالوا كذلك حتى سقوا ورجعوا يحوضون الماء. وكان كما قال.

نحن أحوج ما نكون للتوبة وللضراعة على باب ملك الملوك ندعوه ونقول اللهم اسق بلادك وعبادك.

أيها الإخوة:

لكي يسقينا الله ويجنّبنا القحط والجفاف، والغلاء والوباء؛ الزموا ثلاثة: تقوى الله وتجديد التوبة والضراعة على باب الملك

- أما تقوى الله فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَنْفُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96].

- وأما التوبة والاستغفار فقد قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: 10-12].

- وأما الضراعة على باب الملك فقد قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: 28].

وكان من دعاء رسول الله ﷺ في الاستسقاء: اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريئاً (أي مخصباً)، نافعاً غير ضار، عاجلاً غير آجل، اللهم اسق بلادك، وارحم عبادك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت، اللهم اسق عبادك وبهائمك، وانشر رحمتك. اللهم اجعله صيباً (أي كثيراً) نافعاً.

والحمد لله رب العالمين